

حقوق الأذى

ديفيد لويد، أيرلندا

ترجمة: سنان أنطون، العراق

خفايا

(إلى فريد موتن و ووتسانغ)

تدلف الصندوق الأبيض. تخيل، وأنت خارج الصندوق الأبيض، أنك صندوق أسود. الصندوق الأبيض في جوف الصندوق الأسود. افترض أن كل جدار أبيض هو شاشة خارج الصندوق الأسود؛ خفايا تنتظر من يخطئها. ومن يعرف كم عمق هذا الصندوق الأسود الذي يمتد، لامرئياً، هذا الشيء الذي يشفر ذاته بذاته. حين تكون في الصندوق الأبيض، فإن البعيد على مدّ اللابصر. لا خارج باستثناء الصندوق الأسود الذي في جوفه.

تظهر أنت أمام جدران الصندوق الأبيض البضاء. ويظهر ظلك أمامها. تخيل أن الأضواء تخفت حتى تعتم. ثم تخيل أن الأضواء تخفت فيكون ظلام مطبق. لا ظل ولا ضوء ولا ظهور. داخل المكعب الأبيض هناك صندوق أسود لامرئياً وغير مضاء. إذا شهقت ستعيش وإذا زفرت ستموت. هذا هو الصوت الوحيد الذي ستسمعه. فقد اختفى كل صوت آخر.

من نافلة القول إن للمكعب الأبيض زوايا أربع وأرضاً مربعة. في كل زاوية يرى صندوق أسود. ومن واحدة منها ينبعث صوت: تقدّم إلى المربع واجعله دائرة. فأرض المربع ساحة عامة. سندور حول الساحة العامة، فالمكعب ساحتنا الآن. تقف هناك، لقد دخلت الساحة وأنت تدور. يدور الآخرون. هذا دوران بلا مركز. لو كان هناك مركز لما درنا. في المركز هذا الشيء الذي نظل ندور حوله.

والشيء صوت. الشيء أصوات تلتقي وتعبر. الشيء صوت. الأصوات التي تعبر وتنضفر هي الشيء الذي ندور حوله. تحدّث الصوت إلى الصندوق الأسود، مشفّراً. يتحدّث الصوت من داخل الصندوق الأسود، يدور. يتحدّث الصوت، خارج الترتيب، إلى هذا المكان، هذا المكان العام. الصوت يصنع الساحة العامة. يدور في الغرفة. قدر. دويّ.

ما كان سيكون صوت بدون الجسد. ومع الجسد لن يعود الصوت. وهذا قدره. يتحدّث الصوت من بعيد. الصوت في خطر. يتحدّث الصوت إلى أذن الآخر. يترك الصوت الجسد الصوت يجعل الصوت دائرة الصوت يعود إليك. الصوت يتحدّث بلا جسد، ممزّقا، مُقسّماً، مُهَجَّراً. يأتي الصوت إلى جسدك، يقسم، يهجر، يخطط. يتدفق

عبر المداخل.

ندور في الغرفة. ولا أحد في قلبها. تلتقي الأصوات في قلب الغرفة. تعبر. فمن فضلة القلب يتحدث اللسان. دويّ دويّ. ومن عجلة اللسان ينبض القلب. ومن يحب والحب يملأ. ومن يحب يقسم امتلاء الجسد. هذا هو قدرنا. الصوت شيء غني.

القلب عضلة قوية. تحل معضلاته حجراته. القلب صندوق أسود. القلب ساحة عامة. ونحن ندور حول قلب الموضوع. ينبض القلب في قلبه. يخفق قلب الصوت وندور حول المركز الذي أخطأناه. هنا هناك وليس هنا. نسمع ونخطئ السمع. وندور حول الساحة العامة.

شبكة الزيتون

أتعرف الأرض التي تزهر فيها أشجار الزيتون

أين أنت الآن، غائب في الضباب

غائب في ضباب شبكتك

أنا أنت حين أكون أنا

لنستعيد معاً سماء باريس

ذهبنا إلى عدن قبل أحلامنا. كان القمر يشع على جناح غراب. نظرنا إلى البحر

عيون:

تشعُّ بالمطر المتساقط

أحب سقوط المطر

حين أمرني الله أن أشرب

شربنا مطراً. مطراً شربنا

شرق الينابيع، في غابة الزيتون، عانق أبي ظله المهجور

لم يكن شعر أُمّي أبداً أبيض

ماذا يمكن أن نقول لجمرات عينيك؟

ماذا سيقول الغياب لأمك؟

تملاً الجرار هنا وتطعم قلبك

لي مرج مبلل وفي أفق كلمتي العميق

لي قمر

وقوت الطير

وزيتونة خالدة

أنا أخفّ:

أغنيّ أمام الغرباء

أتعرف الأرض التي تنزف فيها أشجار الزيتون؟

II

يمسّط آذار قطنه فوق أشجار اللوز

أنظر إلى الأشجار تحرس الليل من الليل ونوم من يريدون موتي:

عُدّ اللوز

عُدّ ما كان مرّاً وما أبقاك صاحباً

سأفلق ظليّ

من أجل عبق اللوز

وأتعب فوق هذي المنحدرات

لأطوف على غيمة من غبار

اقترب واصغ

نُخرج الوقت من الجوز ونقشره ونعلمه كيف يحبو

بلدنا من كلام

تكلمّ تكلمّ

دعني أريح طريقي على حجر

آن للحجر أن يسعى ليزهر
 عيون الحصة ليست زنابق
 اجعلني مرّاً
 عُذّني من اللوز
 سأقطع هذا الطريق إلى آخره
 أتعرف الأرض التي تتعفن فيها أشجار الزيتون؟

III

زيتونات الله تصعد مع اللغة
 ودخان لازوردي يتصاعد عبر اليوم
 ألمس طوق الحمامة وأسمع أغنية ناي في التينة المهجورة
 لكنها أزهرت بينما كنا نمزج نعم ولا
 نجمة لنحرق مرايانا
 إلى أين نذهب بعد الحدود الأخيرة؟
 إلى أين تطير العصافير بعد السماء الأخيرة؟
 الأرض كانت أرضنا
 هنا أو هنا، سوف يغرس زيتونه دمنا
 أتعرف الأرض التي تقتلع فيها أشجار الزيتون
 بيت النسيان أخضر كالعفن:
 هناك على الأقل دخلت إلى اسم لك
 هنا في الممر الأخير
 أين أنت الآن؟ غائب في مياه الزيتون؟
 كنا موقى واستطعنا أن نتنفس



هوامش الشاعر

"شبكة الزيتون" مركبة أساساً من أسطر مأخوذة من قصائد باول تسيلان المبكرة ومن محمود درويش (بترجمة منير العكش وكارولين فورشيه). حين كنت أحاول ترجمة بعض قصائد تسيلان الأولى، فوجئت بشبه ما في الإيقاع والصور بينها وبين قصائد درويش، على الأقل في قراءتي لها بالإنكليزية. وأخذت أتخيل حواراً بين الشاعرين، وكلاهما عاش في باريس، مع أن درويش نُفي هناك بعد موت تسيلان في 1970. وتبين أن درويش كان يعرف شعر تسيلان جيداً واقتبس في قصيدته "غيمة من سدوم" في سرير الغريبة أبيات من "ماريان" وهي من قصائد سيلان المبكرة. وقد يفسر التشابه بين الشاعرين اهتمامهما المشترك بالأندلس، التي كانت مركزاً لحضارة مشتركة قبل نفي اليهود والمسلمين من إسبانيا في القرن الخامس عشر. اللازمة المكتوبة بالألمانية مأخوذة من قصيدة "مينيون" لغوته من رواية سنوات تعلم فلهم مايستر. دُمّرت "إسرائيل" أكثر من 800 ألف شجرة زيتون خلال احتلالها واستيطانها لفلسطين.

من ديفيد لويد، **حقوق الأذى: قصائد** (أثينا: دار نشر جامعة جيورجيا، 2022).

David Lloyd, *The Harm Fields: Poems* (Athens: The University of Georgia Press, 2022).

هوامش المترجم

في "خفايا" يستثمر الشاعر الحقل الدلالي لمفردة square التي تعني "مربع" و "ساحة" أيضاً. كما ترد جملة circle the square التي تعني حرفياً: الدوران حول الساحة، لكنها تعني أيضاً: تحويل المربع إلى دائرة. وهي قلب لتعبير square the circle الذي يعني: صنع المستحيل.

شبكة الزيتون: "أتعرف الأرض التي..." جاءت في النص الأصلي بالألمانية، وهي كما يذكر الشاعر أعلاه تنويعات على بيت من قصيدة مشهورة لغوته.